على ما يقدر الأدب؟
السوسيونقد الأدبي ونقد الخطاب الاجتماعي
مارك أنجينو ماذا يعرف وعلى ما يقدر الأدب ؟*

أ. سامية دريس
جامعة بجاية

يتوجب علينا أن نستعيد، لكن بعد طرحه في صيغة أخرى، السؤال الخالد حول "كينونة" وخصوصية الأدب. لن نتساءل "ما هو الأدب؟ " بل بالأحرى *ماذا يفعل، ومن ثمة، على ما يقدر* الأدب ؟ لقد عرفنا منذ المنحطين ورمزيي سنوات 1880 إلى غاية أيامنا هذه، عرفنا لهذا السؤال الإجابة الغثة للجماليين وهي أنه لا يفعل ولا يقدر على شيء، ولله الحمد! وأنه، حسب البيت الشعري لادموند روستان Edmond Rostand الذي يستعيده التعليق الأدبي الحالي في شروح ما بعد حداثية، "إنه لأكثر جمالا حينما يكون غير مفيد... " .

إذا، *ماذا يفعل* الأدب، على أي شيء ولأي شيء يعمل و، في المحصلة، ما الذي يعرفه أثناءها ؟ ماذا يعرف الأدب مما لا يكون معروفا بشكل أجود وأحسن في موضع آخر ؟[1] هل يعرف الأدب بنفس الكيفية التي تعرف بها قطاعات إنتاج اللغة الأخرى، ولكن وفق نمط نوعي وبوسائل معرفية خاصة به، كما هو الشأن مثلا في المعرفة المصوّرة التي تميز الأدب عن المعرفة العلمية، حسب جورج لوكاتش، والتي يضعها، مع ذلك، على قدم المساواة مع هذه الأخيرة ويجعلها بشكل من الأشكال مكملة لها ؟

إن التطرق لأسئلة كهذه لا يتساوى مع طرح هذا السؤال الآخر، الذي يبدو قريبا منه: "لأي شيء يفيد الأدب ؟ " ذلك أنه لا يتضمن إقرارا مسبقا بأن هذه المعرفة الأدبية، إن وجدت، قد تكون نفعية، عمليا أو ايجابيا وقابلة لاستعمالها في خدمة أي شيء كان. إن هذه التحديدات السلبية، بدون أن نثير استياء روستان و**لـ" النسر الصغير " Aiglon** *، ليست مرادفة لـ" لانعدام الفائدة ".

إن أحد الأسئلة الأساسية لسوسيونقد النصوص، في الحالة التي تستجوب فيها عمل الوضع في النص mise en texte، رافضة الجمالية "الشكلية" والعدمية التي لا تكف عن العودة في الخطاب النقدي المعاصر، تكمن في التساؤل الدائم عن "ماذا يعرف الأدب ؟ " ما الذي يعرفه ولا يعرف في مكان آخر، في الحقول الخطابية العامة أو الخاصة (الباطنية) ésotérique.

المنارة للاستشارات

معرفة من الدرجة الثانية :

إن تفكيري الشخصي وما أفهمه من النهج السوسيونقدي وفرضياته تقودني أولا إلى تعديل وتحويل السؤال الذي صغته توا، إن السؤال "ماذا يعرف الأدب ؟" لا يحيل أبدا إلى نمط خاص من أنماط المعرفة يختص به الأدب ويكون من الدرجة الأولى. يتحدد السؤال إذن بالطريقة التالية: ما الذي يعرفه الأدب عن الكيفية التي تعرف بها القطاعات الخطابية الأخرى العالم وتشرعن بها معارفها. لا يلبث أن يلتحق بهذا الطرح مشكل ملازم يتصور "الشكل" الأدبي وسيلة لممارسة محددة؛ كيف لما نطلق عليه "انحرافات" أسلوبية و"لعبا شكليا" وكاكوغرافيا (خربشات / أخطاء إملائية نحوية) مقصودة وتعطل وظيفي متعمد ومرغوب وهدام للنص الأدبي، كيف لهذا الشكل أن يكون ذا صلة بالعمل المخصوص الذي يجريه النص على الخطاب الاجتماعي، أي مع السلوك الاجتماعي socialité للنص، والذي لا يمكن أن يكون مجرد إعادة تسجيل مطابقة لما يقوله الخطاب الاجتماعي، مثلما لا يمكن للشكل الأدبي للنص أن يكون جهازا وقائيا معقما asepsie (تمكنت بعض المذاهب الجمالية من أن تحمّل عمل الشكل هذه الخاصية الفيتيشية، يجب على النص أن يكون محميا في "نقائه" من الاحتكاك التافه باللغات النفعية والدنيوية الضيقة) .

إن تفكيرا كهذا يسجل ضمن المنطق الأساسي للبحث السوسيونقدي. الموضوع الرئيسي الذي يتساءل حوله كلود دوشي Claude Duchet هو ما يسميه "الوضع في نص" la mise en texte، ويقصد به التكفل الخاص بالخطاب الاجتماعي من طرف النص الروائي. إن سوسيونقد دوشي قد سعى بدقة إلى التفكير في النشأة الاجتماعية للنص كجهاز للتشرب الانتقائي لمقاطع من الخطاب الاجتماعي وكانزياح منتج، وفي "عمل النص" على "خارج النص" الذي لا يكف دوشي عن التذكير بأنه في آن معا خارج وداخل، وبأن النص يسمح جذريا للخطاب الاجتماعي باختراقه، حيث يبقى حاضرا فيه "كظله "، كـ"طرس " palimpseste، لكثرة ما كشط وأعيدت كتابته .

لكن دوشي ألح بنفس القدر على حقيقة أن "التجميع" collage البوليفوني للنص، مع الاقتراحات التفسيرية المحايثة التي يتضمنها، مختلف منذ البدء، اختلافا نوعيا وبراغماتيا حتى في أكثر الكتابات الأدبية ابتذالا وأقلها تبلورا.

يزعم السوسيونقد أنه يمسك بطرفي المعضلة؛ من جهة فإن النص الأدبي منخرط في الخطاب الاجتماعي وشروط مقروئيته ذاتها لا تكون أبدا محايثة له وهذا ما يحرمه ظاهريا من كل استقلالية، لكن اهتمام السوسيونقد، من جهة أخرى، مكرس لأن يبرز ما يصنع خصوصية النص كنص، وأن يبين للعيان عمليات تحويل الخطاب إلى نص.

إن في وسع النص طبعا، كونه مأخوذا عن الخطاب الاجتماعي ومنتجا وفق شفرات اجتماعية أن يقود إلى المتعارف عليه doxique والمقبول والمنشأ سلفا، لكن

المنارة للاستشارات

في وسعه كذلك أن ينتهك، أن ينقل، أن يواجه بشكل مفارق وأن يتجاوز التوافق القائم. في الحالة الأولى يضمن النص مقروئية فورية، لكنه لا يكون إلا مكونا من مكونات النتاج العرفي. من هنا بالذات (كما تشهد عليه بطريقة منيرة حالة الواقعية الاشتراكية المدروسة آنفا من طرف رجين روبان Régine Robin[2])، فإن النص مكرس كذلك ليصبح لوقت قصير "غير مقروء" وفاقدا للمصداقية في حالة ما إذا خف التواطؤ مع العرف (الدوكسا) الذي يحمله ويحمل عليه أو إذا توقف بعنف. من ناحية أخرى، فإن النصوص التي تحرف وتنقل العرفي المهيمن هي من النصوص التي تسجل ضمن اللامحدد ـ مما يجعلها مقروءة بصعوبة في لحظتها الفورية، ولكن هذا يضمن لها إمكانية دائمة تقريبا من المقروئية "الأخرى"[3].

مستلهما من ميخائيل باختين بقدر ما استوحي من الأبحاث السوسيونقدية، توصلت إذن إلى فكرة أن الأدب لا يعرف إلا من الدرجة الثانية، بأنه يأتي دائما بعد، في عالم اجتماعي يدركه متخما بالأقوال والنقاشات والأدوار اللغوية والبلاغية، وبالإيديولوجيات والمذاهب التي تشترك كلها، تماما، في الادعاء المحايث بأنها تفيد في شيء، وبأنها تمنح للمعرفة، وتوجه البشر عن طريق إعطاء معنى(وجهة ودلالة) لأفعالهم في العالم .

تكمن كينونة الأدب إذن في العمل الذي يجريه على الخطاب الاجتماعي، وليس فيما قد يمنحه من تقارير حول "العالم" أو حول "الروح" على طريقته ويشكل إضافة على الصحافة، الفلسفات، الدعايات، المذاهب والعلوم.

إن علينا تصور الأدب *كإضافة* للخطاب الاجتماعي، ولحظته الثانوية، مما يجعل منه حقا مكدرا للصفو.

إن مثل هذه الطروحات بمجرد وضعها تقصي قبليا، في اعتقادي، كل تلازم خالد وجوهراني يعطي الخيال والنتاج الجمالي وظيفة وفعالية دائمة ـ في المفارقة، الهدم، الكرنفالية وللتفكيك ـ والذين سيشكلون *تمويها* alibi أبديا للخطابات التبسيطية الحازمة عن العالم،الهوية والسلطة .

إذا كان في وسعنا الإعلان عن بعض النصوص على أنها "أدبية" ضمن المنظور ووفق المعايير المصاغة أعلاه، فهي لن تكون كذلك حسب خصائص عبر تاريخية محايثة بل حسب خصوصيات متنوعة للعمل الذي قد تجريه والذي كان بوسعها إجراؤه على حالة محددة من حالات الخطاب الاجتماعي بمحدداته المهيمنة وبتقسيمه للعمل وبطوبوغرافيته وأجهزته التناصية النوعية. بصيغة أخرى، إن أثر "الأدبي" لا يمكن الحكم عليه أو قياسه إلا بالنسبة للنظام السوسيوخطابي الشامل الذي ينبثق فيه .

إن خصوصية الأدب وإمكاناته وقف على الحالة السوسيوخطابية، لا يمكن للأدب فعل شيء أو المعرفة عن طريق تحريك الخطاب الاجتماعي، في لحظة معينة،

المنارة للاستشارات

إلا إذا وقع تحت إكراه ما تجعله رواسخ، تفسخات ومقاومات الخطاب الاجتماعي ممكنا بطريقة مباشرة وغير مباشرة في آن معا؛ إن الأديب يخاطر في كل لحظة، مثله مثل أي كان، بأن يستسلم للايحاءات الوهمية، وللصور الزائفة للخارق التي تملأ بابتذال السوق الثقافي الحديث .

إن التبعية (الحكم الغيري) Hétéronomie واللغوية الغيرية hétéroglossie لا يمكن أن تدرك عن طريق حدس محلي أو عن طريق فحص ما ينسج ضمن القطاع الأدبي الرسمي canonique فقط. فالتبعية ليس صفة خالدة لبعض الأعمال المصنفة إلى الأبد بوصفها منشقة وتخريبية، لكن يجب أن تدرك ضمن الاقتصاد الكلي للخطاب الاجتماعي لحقبة معينة، فلا يسعها قط أن تكون قيمة عبر تاريخية. إن كلا من اللغة "الأخرى"، ابتكار الانزياح المنتج، وصياغة الإشكالات المستعصية العميقة في اللغة، وكل ما يبدو لنا مؤسسا "للنصوص العظيمة"، يظل في كل لحظة غير أكيد، وبعيدا جدا عن أن يكون في متناول "الموهبة" وحدها. إن النص الأدبي ليس مطلقا في وضعية مسيطرة، إنه لا يجري، في العمق، قطائع دالة إلا تحت إكراه الاستحالة الطارئة للقول، الاحتباس والاختناق .

لا تتحقق النصانية textualisation الخلاقة عادة إلا داخل هذه الأزمات حيث لا يتمكن الأدب، أو أحد أشكاله المؤسسة، أحد "أنواعه" من الاستمرار في وجوده دون أن يقدم له أيضا مخرج بديهي. ليست الصيغ التي تبدو ظاهريا مجددة ومتجددة هي ما ينقص، خاصة في القرن العشرين، ولكن ما ينقص أكثر فأكثر في مجرى هذا القرن هي إمكانية اكتسابه لفضاء لغوي صحيح واسماع صوته في ضوضاء الخطاب الاجتماعي، في خضم تسليع الابتكارات الشكلية. هذه الامكانية أضحت اليوم من الأكثر ضعفا والأقل ترجيحا.

نقد الخطاب الاجتماعي :

يبدو لي أن المقترحات التي سبقت تستتبع جملة من الانعكاسات المعرفية الارشادية heuristiques، حيث لا تكون دراسة النص الأدبي ذات أهمية وغير ممكنة بالمعنى الحرفي للكلمة، إلا إذا كان هذا النص منذ البدء غير معزول ولا منقطع عن الشبكة السوسيوخطابية التي يعمل فيها وعليها.

انطلاقا هذه الاعتبارات، قمت من جهتي باستخلاص برنامج بحث يستدعي التفافا كبيرا. إن دراسة الظاهرة الأدبية، حسب ما أرى، تتطلب بالضبط نظرية ونقدا تاريخيا للخطاب الاجتماعي. فبنفس القدر الذي تخفي به الأشجار الغابة، ليس في وسع هذا الخطاب الاجتماعي للحاضر أو الماضي، نسبة إلى ما يتموقع الأدب إزاءه، ليس في وسعه أن يوازي بكل بساطة الحدس الذي يملكه "رجل الثقافة". يجب القيام بالتحليل وممارسة التأويلية انطلاقا من هذا الخطاب الاجتماعي، للتمكن لاحقا من

المنارة للاستشارات

(إعادة) الحديث عن الأدب. وبالنظر إلى كون مناهج الدراسات الأدبية، من البلاغة القديمة إلى السرديات والسيميائيات الجديدة تنطبق جيدا على الخطاب الاجتماعي في مجموعه، فإن المهمة التي أتصورها ليست غريبة عن طرائق ووسائل نقد الآداب[4] .

قبل أن نسائل الأدب، إذن، يتوجب السعي إلى النظر حقا في الإشاعة الضخمة لما يقال ويكتب في مجتمع ما ـ من الدعاية السياسية والنقابية إلى الأحكام القضائية، من الأغنية القصيرة والشعارات الإشهارية إلى العظات والخطابات الطقوسية، من حديث الحانة إلى نقاشات الملتقيات الجامعية، لأن ما يقال ليس أبدا اعتباطيا أو "بريئا"، لأن نزاعا عائليا له "قواعده" وأدواره ومواضيعه، بلاغته، تداوليته، والتي تختلف عن قواعد الأمر الكاتدرائي أو الافتتاحية سياسية أو مهنة الإيمان لعضو مرشح. مثل هذه القواعد لا تشتق من السنن اللساني بوصفها كذلك[5]، إنها تشكل موضوعا خاصا، مستقلا كلية، وأساسيا لدراسة الإنسان في المجتمع ولدراسة الثقافة[6]. هذا الموضوع الاجتماعي بالأساس، وبالتالي التاريخي، هو الكيفية التي تعرف بها المجتمعات بعضها وهي تتكلم وتكتب بعضها لبعض، والكيفية التي يسرد الإنسان من خلالها نفسه في المجتمع ويحاجج عنها.

يشكل هذا الموضوع علما للخطاب الاجتماعي الشامل. ليس على هذا العلم أن ينكر دراسة "الوظيفة الجمالية" المستخرجة في نسبيتها الثقافية من طرف مایاكوفسكي. ليس عليه فقط أن يحولها إلى فيتيش عن طريق عزلها وجعلها منذ البدء عقيمة[7].

إن موضوع الدراسة الذي يشكل، في استقلاليته النسبية في الثقافة، وحدة خاصة ونظاما شاملا للتفاعل هو الخطاب الاجتماعي كاملا في تعقده طوبوغرافيته وتقسيمه للعمل، ففي إطار تحليل ونظرية للخطاب الاجتماعي بوسعنا عزل بعض الكتابات التي تنتمي أحيانا لـ"لحقل الأدبي والتي يبدو عملها على التناص لأسباب متعددة كاشفا، مهما، مجددا ودالا على الترتيب الشامل للخطابات السائدة في لحظة معينة، وعلى آثار الإقصاء والتقسيم التي تفصح عنها بشكل مفارق الجناسات، الخلافات والمفارقاتية المسجلة داخل النص محل الاختبار .

لا تتجاور الخطابات الاجتماعية مع بعضها كـ" أنواع " وقطاعات مستقلة، وهي ليست كذلك اعتباطية ولا وحدات للحظات من التواصل. إنها تشكل، في حالة من حالات المجتمع، نظاما مركبا حيث تشتغل نزعات شمولية hégémoniques قوية وحيث تنتظم هجرات. إنه على الخطاب الاجتماعي، في التعقيد الكاكوفوني للغاته ولمخططاته المعرفية، لهجراته الموضوعاتية، عليه أولا تنطبق منهجيات الدراسات الأدبية "بعد أن تتخلص" مما فيها من فيتيشية وشكلانية، ولا يمكن للخطوات الثلاث التقليدية المتمثلة في الوصف، التأويل وتقويم النصوص والأعمال والأنواع الأدبية

المنارة للاستشارات

والخطابات التي تتعايش وتتداخل ضمن ثقافة معينة أن تتصالح مع مقدار من التشييء والاثباتية، إلا داخل الخطاب الاجتماعي الشامل .

النص الأدبي وعمله في النص الاجتماعي :

يسجل النص الأدبي في الخطاب الاجتماعي ويِعْمِله، لكن النص الأدبي، أكرر، يظل استنجازا entéléchie خالصا، فالعمل الذي يجب إجراؤه على الخطابات الاجتماعية ليست مهمة عبر تاريخية transhistorique تتم من تلقاء ذاتها، هذا العمل إشكالي دائما واستراتيجياته متعددة، ومقيِّدة ومتباينة في وسائلها ووظائفها في نفس المجتمع. إن الخطاب الاجتماعي يبدو منظورا إليه من الآداب كجهاز إستشكالي problématologique مصنوعا من الايهامات الخادعة، الألغاز، المآزق والاستجوابات. إذا كانت النصوص، أدبية أم لا، ترجع إلى الواقع، فإن هذه المرجعية تجري ضمن وساطة اللغات والخطابات التي "تعرف" الواقع في مجتمع معين بطرق مختلفة وحتى متنازعة، الواقع الذي لا يمكنني أن أقول أي شيء مسبقا عن الكيفيات المتنوعة التي يعرف بها[8] .

بدون نظرية وممارسة لتحليل الخطاب الاجتماعي، التي تتجاوز كثيرا مجرد الحدس الذي نمتلكه حوله، ليس في الإمكان مطلقا التطرق إلى ميدان الآداب *مباشرة* دون الوقوع في القبلية، والحدس غير المراقب، وإقحام الوظائف بين الخطابية للنص على الخصائص الشكلية للموضوع. إن ما ينقص اليوم على نطاق واسع ـ ما وراء التشكيلات النخبوية لتاريخ الأفكار والتأويلات الميكانيكية للنقد الذي يقال عنه "ايديولوجي" ـ هو نظرية وتاريخ للخطاب الاجتماعي .

إني برسم هذا البرنامج لتحليل الخطاب الاجتماعي السابق للنقد البين ـ خطابي للنصوص، لا أزعم، يجب قول ذلك، "الحط من رتبة الأدب ولا أقترح تناول ديوان شعري بنفس النظرة التي أتناول بها كتابا للطبخ، لكنني أتمنى نزع الفيتيشية عن الأدب، وأن أطلب منه : ماذا بمقدورك أن تفعل وأنت تشتغل على الخطاب الاجتماعي، ما الذي تعبر عنه ولا يقال بطريقة أفضل في موضع لآخر، ما الذي تعززه، وعن طريق المغامرة par aventure، ما الذي تنقضه أو تنجح في أشكلته في التمثيلات الاجتماعية ؟ إنها مقاربة تناصية وبين خطابية معممة، كان لفكر باختين على الخصوص، وإن مؤولا ربما بطريقة لا تتقيد بحرفيته في كتابات المفكر السوفياتي العظيم، تأثير حاسم في صياغتها.

وحدهم أولئك الذين يعتبرون أن النص الأدبي "الخالص"، و"الذي يحمل غائيته في ذاته" autotélique لا يجب أن يكون سوى ذريعة لتأويلات مغرضة لا متناهية تستعمل كتمويه، كحلم تافه للإفلات من الثقل الاجتماعي، وحدهم أولئك سيتحفظون أمام مشروع الإدماج والمواجهة هذا .

المنارة للاستشارات

يأتي عمل الأدب كممارسة لإعادة القيادة والإنتاج، للتفكيك وإعادة التأليف، لكن الخطابات الاجتماعية، حين تفصل عن مبرراتها الوظيفية يمكن في الواقع، أن تكون، ضمن إحصاء إجمالي، ذات طبيعة جد متنوعة في أهدافها ونتائجها: (منها) المساهمة في الإنتاج الاجتماعي للمتسامي sublime، إقامة أو مواجهة جهاز للتخليد commémoration والشرعنة، للتشييد وللتعليم (في الحالة التي يحفظ فيه ما يطلق عليه الحداثيون الأدب أثار وظائفه الشبيهة وتركة استعمالاته السابقة فاعلة) أو ممارسة لعبية ومفارقة، تنظيم متعدد الأصوات، مؤسسة مقصودة للتعمية opacification، لاستحداث مفردات جديدة في اللغة neologie بالمعنى القوي للكلمة، وأقصد به محاولة الوضع في اللغة لما استعصى عن الوصف اجتماعيا indicibles sociaux الخ.

ممارسة للخطاب تأتي بعد كل الأخريات:

لا يتعارض الأدب مع النشاطات المتعددة للخطاب الذي يقسم عمله ضمن الطوبوغرافية الثقافية، فيما يسلم نفسه في زاويته وفي "برجه العاجي" للاجدوى والعمل المجاني لتفكيك المعنى، ويكون بكل مجد محروما وحده من غائية عملية ومن هدف télos . إن الأدب تحديدا ليس وحده في زاوية، ولا "خارج القرن"، سواء تعلق الأمر بالرواية الواقعية أو الحداثية، وسواء تعلق الأمر بالشعر التكعيبي أو السوريالي، إنه هذا الخطاب الذي، حاضرا في العالم، يأتي ليتناول الكلمة ويعمل مع "ألفاظ القبيلة" بعد أن تكون كل الخطابات الأخرى قد قالت ما عليها أن تقوله، وخاصة خطابات اليقين والهوية، إنه ما يبدو مالكا لتفويض الاستماع وإرجاع الصدى واستجواب هذه الخطابات عن طريق المواجهة بينها.

لمجرد أنه يأتي من بعد، لن يقوم الخطاب الأدبي بترميم ايجابيات المدنية، وإضافة فعالية عملية، يقينية ناهية، لأنه وبالضبط يوجد مسبقا وبكثرة في باقي الخطاب الاجتماعي يقينيات هي كلها في خلاف معلن أو مستتر مع يقينيات أخرى وتشكل أنسجة للتناقضات. النص الروائي الحديث، على سبيل المثال، هو إذن جهاز للتجميع، للآثار الحوارية، لإضفاء الالتباس الدلالي، لتعدد المعاني والأصوات، لا بواسطة بعض العادات الشكلية الغريبة، أو نوع من الخضوع لجمالية متعالية، ولكن، تماما، لأنه لا يقوم ـ حتـــى في الروايات الأكثر سطحية و"ذات الأطروحة" a thése ـ سوى بعملية العكس refleter حيث ستسجل الإشاعة الكاكوفونية للخطاب الاجتماعي الشامل بأصواتها المتنافرة، مشروعياتها غير القابلة للبت، أصداؤها ومحاكاتها الساخرة، ويستمع، في الواقع، حين يتموضع على البعد الصحيح، إلى مختلف thématisation أساليب طرح التيمات المتداولة لنفس المواضيع، وإلى ما يهمس وما يدوي (كالرعد)، كما يدرك ويسجل انزلاق المعنى من لغة إلى لغة أخرى،

المنارة للاستشارات

المتضادات، المآزق، التفسيرات الشاملة وانعدام الاتساقات المؤسسة لهذه المذاهب التي تصنع لنفسها أتباعا وشهداء.

الالتباس، تعدد المعاني، اللاغائية non-téléologie، اللاقصد، الوثبات المختلسة subreptices، المعاني المزدوجة والصور المخفي، التدرجات الدلالية الكامنة لا تؤخذ كلها كسمات مميزة للأدب، إنها أيضا، وإن كانت غير محينة وغير معترف بها كذلك، السمات الأساسية للخطاب الاجتماعي الشامل، بمعنى للنتاج الشامل لمختلف الكيفيات التي يزعم بها مجتمع ما والناطقون باسمه معرفة العالم وتثبيته في اللغات، الحجج والسرود .

لا يعرف الأدب فعل شيء غير هذا: النقل، من الدرجة الثانية، لهذه الكاكوفونية البين خطابية، المليئة بالتحويلات وانزلاقات المعنى، وبالمآزق التي تحجب بمهارة متفاوتة، وليس قادرا إلا على إظهار ما يختفي وراء الاتفاق الظاهر في الخطاب الاجتماعي، وأقصد به العجز الأنطولوجي الذي يوجد فيه هذا الخطاب عن معرفة الواقع التاريخي بطريقة ثابتة ومتسقة، بدون مواجهات غير قابلة للاختزال بين "رؤى العالم" التي تسكنه، وبدون نقائص متوارية داخل الأنظمة والتفسيرات، وبدون احتمال الوقوع في أي لحظة في مخالفة الواقع .

الأدب في الواقع "متعدد المعاني" ومحروم من الخاتمة ومن الخلاصة الدلالية المؤكدة، لا لأنه في تعارض مع ما هو خارج، اللاأدب، الذي سيكون أحادي دلاليا monosémiquement و"تواضعيا" قادرا على معرفة عالم قابل للمعرفة وشفاف، ولكن تماما، لأنه لا يقوم سوى بالعكس، في شكل مجازي، ليس للواقع مثلما كنا قادرين على قوله، وإنما للخطاب الاجتماعي في حركته المتشابكة وعجزه الجوهري عن معرفة هذا الواقع الذي لا يحل لغزه حتما .

كتب كلود دوشي Claude Duchet مفكرا حول ومع بوفاردو بيكوشي Bouvard de Pécuchet، كتب: "لا يمكن أن نفكر التاريخ حقا إلا من خلال المتخيل " ومن هنا أخلص إلى أن الخطابات العامة المتعددة والعالمة التي تفكر وتتلفظ التاريخ بوصفه موضوعيا قابلا للسرد وللقراءة، ومصدرا للتعليم والعبر الأخلاقية، ومستعرضا ذا غائية ذاتية واستدعاء تعبويا ومدنيا، هذه الخطابات لا تفكره حقا. وبأن الخيال الذي يفكره أو لا يفكره non-pense بوصفه ضوضاء من التفسيرات الحصرية والنوعية، بوصفه مفارقة معتمة محضة، لها منطق على طريقتها، بمعنى أنه لا وجود لمنطق أدبي - وظيفي يأتي بشكل مفارق ليحتل عرش الفكر بعد فشل المنطق المدني والعالِم .

إن الأمر، في العمق، بسيط: إذا ما اعتقدنا أن الخطابات التي تتكلم بشكل قطعي عن العالم تعرفه بشكل ملائم أو لها إمكانية القيام بذلك في أحسن الأحوال، سيكون الأدب بالفعل "غير مفيد"، لكن الأدب لا يعرف العالم أفضل مما تتوصل إلى

المنارة للاستشارات

معرفته الخطابات التي تدعي معرفته، والبشر الذين يجهدون، بتواضع أو بتيه، في ذلك لا يعرفونه حقا[9].

إنه في هذه الحالة فقط، عندما نضع هذا النوع من الفرضيات، سنوجد لأنفسنا الحق في إثبات أن الأدب يفيد، فعلا، في شيء. إنه يقول، إنه يتوصل غالبا للقول: هذا لا يستقيم، هذا ليس كل ما بوسعنا قوله، لا وجود لهذا، "هناك أشياء أخرى بين الفردوس والأرض" نستطيع رؤية الأمور بطريقة مغايرة، ليست الأمور بالضرورة كذلك[10]. ليس الأدب في (قوله) هذا جد منشط، ولا مؤسسة بناءة، مثلما ظنته كل المذاهب ورجال الدولة الذين، من النهضة إلى أيامنا، بحثوا عن وضع الأدب في خدمة شيء ما، لكن في إمكاننا فعل شيء "مفيد" به وملء وظيفة معرفية نوعية ضمن وبواسطة عمل مواجهة تناصية وتكثيفية، عمل سيكون سلبيا بالطبع، بشكل مقبول أو عبثيا حتى بشكل كريه، في حالة ما إذا كان الخطاب الاجتماعي، من موضع آخر، مليئا بالوضوح التام، بتعليمات نهائية، بهويات موائمة وقنوعة وبرؤى العالم المثبتة والمنشطة ـ أو حتى ما إذا كان حقا يقدم في بعض الأحيان مثل هذه الجلاءات clartés الوجودية.

ليس الأدب، إذن، في ذاته، في فرادة ستكون حتما مجانية في عالم متسق ومفهوم، هو الغامض، المشفر دلاليا cryptosémique، وذو المعنى الملتبس والمتلاشي؛ بل إن الخطاب الاجتماعي، خطاب العالم الذي يسجله الأدب دون ملل أو كلل كخلفية للنهاية (غير المكتوبة) لرواية فلوبير وبيكوشي، هو الذي يشكل أثرا، "قصة مليئة بالضجيج والرعب"، والتي لا تدل في جملتها على شيء، رغم البديهيات السطحية للشموليات الكبرى والشرعيات .

إن المذاهب والإيديولوجيات الكبرى، التي تبدو مشكلة للقطاعات الأكثر "صلابة" للخطاب الاجتماعي والتي تتعارض انتظاميتها بشكل أكثر صفاء مع النصية الأدبية ليست سوى تسويات bricolages على حاضر إيديولوجي موجود سلفا تعيد تصميمه عن طريق نسيان أصوله، ولكونها تسويات، بالمعنى الجذري لهذه الكلمة ـ ويقصد به ترتيبات خاصة للأشياء المنتقاة تحت الإكراه والتي لم تهيأ لتوظف معا، تسويات متشابكة في خضم تقاليد لن نتمكن من تصفيتها في طرفة عين. إنها مجبرة على "إعادة كتابتها" retaper بالاحتفاظ بما هو جوهري، ولن تتمكن في هذا الصدد ce titre à من أن تكون متوافقة بإحكام مع الوظائف المتزامنة للحفاظ على السلطات القائمة أو لإخفاء المصالح الاجتماعية. إنها أنسجة من المعضلات appories بنفس المقدار الذي يحكم إرادتها في المعرفة الشاملة وفي تعبئة الناس عن طريق منح معنى (دلالة ووجهة) لعالم اجتماعي وتاريخي ينسل دوما من الاتساق الكامل والوضوح الأكسيولوجي للقطعيات impératifs المتحكم فيها ومن الأحادية .

المنارة للاستشارات

إن الإيديولوجيات الكبرى ليست "أنظمة"[11] أو هي ليست كذلك إلا لما يبدو على بلاغتها في شرعنة ذاتها: إنها، بكل ضرورة، عمليات تجميع غير متجانسة حيث تجهد البلاغة السطحية عادة، مرة أخرى، لإخفاء مواضع الخياطة والمفاصل التي تربط بينها: الايديولوجيات في الختام، لا تملك " لا منطقا ولا فعالية rigueur *خاصة بها*"، إنها ليست سوى نتاجات قطاعية لهذا المجموع المتزامن المليء بالمواجهات، بـ "المنقول "وبـ" الترميمات المخفية "والذي نستطيع أن نسميه الخطاب الاجتماعي الشامل. رغم أنها قابلة للعزل، ولا شك، لغايات التحليل، إلا أن المجاميع الكبرى الإيديولوجية هي لا محالة *تابعة hétéronomes* وبين خطابية: الإيديولوجيات ليست "أنظمة" في الحالة التي تظهر فيها للتحليل، كما يبدو لي، عقدا مستعصية ومعضلات مخفية بمهارة متفاوتة. إن المتناقضات والمعضلات التي أتحدث عنها ليست عيوبا طارئة ترهق بعض الإيديولوجيات، ولكنها نتيجة حتمية fatal لكل بحث عن الاتساق الأكسيولوجي ولكل إرادة للتأويل الجماعي والمحرك للعالم .

الإيديولوجيات ليست أنظمة في النهاية، بالمعنى الذي تكون فيه فضاءات للمواجهة لمتغيرات مذهبية متصارعة، نزعات وطوائف ونزاعات داخلية للأرثوذوكسيات حيث المواجهة نفسها تنتج التدمير المتبادل لمنطق كل منها ولحجج هذه وتلك. الإيديولوجية، منذ أن تتطور، تثير ليس فقط تعارضات ومقاومات خارجية، إذ توجد داخل الحقل نفسه الذي تؤسسه وهي تتطور، توجد آراء (بدع) مختلفة ومتناقضة hétérodoxies محايثة لها تجعل منطقها يتآكل وتفرز، في الأغلب حتى، انشقاقات متجاورة تعارض باسم نفس المبادئ "المقدسة" إنشاء حجاجيا وسرديا سيصبح، تقريبا على النقيض من الرواية المهيمنة داخل الحقل. تصلح هذه الفرضية، يبدو لي، للإيديولوجيات الدينية كما للإيديولوجيات السياسية أو المدنية النضالية.

إن جزءا معتبرا من الأدب الحد(ي/ا) ثي modern(ist)e يعود إذن، وبالتحديد لإظهاره ما يلي: أن الملك عار وبأن التفسيرات الكبرى مثلها مثل الأعذار الصغيرة هي عبارة عن تسويات مليئة بمتناقضات لا تصمد. الأدب ليس بالتأكيد إذن "تخصصا" آخر ولا هو حقل لنظام ثقافي مزود ذاتيا بنوع من التفويض القطاعي، مختلف في طبيعته ولكنه مماثل في المبدأ لما كانته الوضعية في العلوم، إنه ليس سوى نوع (وهو غير مؤكد) من العمل البَعْدِي على الخطاب الاجتماعي الذي يأخذ خصائصه من واقع كونه يأتي بعد أن يكون كل شيء قد قيل. لهذا السبب، أيضا، يبقى شيء من الأدب عندما تدعنا الأجهزة المتسلطة البالية usées نرى حبكتها التي أصبحت مهملة ومقيتة من الآن فصاعدا على الأغلب، ومعروفة بشكل رجعي rétroactivement بوصفها غير ملائمة ومظللة بزيفها.

المنارة للاستشارات

لا يتضمن عمل الأدب هذا أبدا بأن يظهر البطلان، ليس أكثر من أن يعطي الحق، ولكن بأن يلفت الانتباه إلى "الغرابة"، إلى المعنى الفائض، إلى التعارضات وإلى التناقضات المخفية. الأدب ليس نقدا، إنه لا يقوم أبدا بدور العمل النقدي، بمعنى أنه لا يصحح، ولا يستبدل الأقوال الفولتيرية والتقدمية لهومي M. Homais بأقوال أكثر صحة أو أكثر ملاءمة لـ"الواقع"، إنه يظهرها في "غرابتها"، إنه ينزع الألفة عنها لكن دون أن يدعي بأنه يملك أدوات المعرفة التي يمكن أن يعارضها بها. ربما أكون مخطئا فيما قلته أعلاه عن غياب تفويض منهجي للآداب، الأدب الحديث ـ على امتداد حقبة طويلة من قبل، منذ القرن التاسع عشر على الأقل، يتعرف نفسه في هذا التفويض، سيكون هناك شبه إيديولوجية خاصة بالممارسة الأدبية لكنها ستنسب إذ ذاك إلى شكوكية scepticisme معرفية جذرية ـ مهما كانت الطريقة التي تأخذ بها هذه الكلمة، وهي بلا ريب يمكن أن تثير الاستياء ـ، شكوكية تتعلق بقدرة اللغات الاجتماعية، وبعملها اللغوي الخاص على المعرفة بشكل موضوعي، ولأن تسمع صوتها، شكوكية فيما يتعلق بامكانية "الواقع"، العالم، التاريخ بأن يعرف بأي طريقة، تكون غير قابلة للنقض، على الأقل. إن لم يكن الأمر كذلك، إن لم يسر كما أفترضه، إذن لن يكون هناك أدب، لن يكون هناك إلا أناس أقلام (كتاب) يقصون سير ذاتية خيالية تكون أقل أو أكثر عبثية، ويضعون كلمات وصورا عن حالاتهم الوجدانية، و"يراقبون" الحياة من الصالونات ويتأملون. نشاطات مماثلة لما قد يقوم به الذين يسردون بتفخيم حكم إمارة أو يثنون على سياسة ما ويقنعون بمحاسنها الحاضرة أو المستقبلية، ولكن نشاطات مساوية لهذه الأخيرة ستكون بالتأكيد عبثية نوعا ما أو ذات انعكاسات أقل. يتوجب في هذه الفرضية المضادة، أن نتمنى أن يضع الأدب نفسه في خدمة مذاهب جيدة، مما سيمنحه بعض الفائدة عن طريق التوكيل.

أدب المثال ـ النمطي والأدب الأمبريقي :

بوضعنا لهذه الطروحات، نكون قد أعطينا لكلمة "أدب" معنى أكسيولوجيا قبليا، لقد أسسنا المثال ـ النمط idéal-type لامكانية معرفية لا تتحقق، في الواقع التجريبي، إلا نادرا، أو استثنائيا، كما قد يقول البعض .

الأمر في الواقع هو أن الأدب قد أنتَج بوصفه كتلة من النصوص، حقلا من حقول الإنتاج معين الحدود اجتماعيا وقابلا للموضعة objectival، أنتَج بداية وبكثافة، في كل مراحل حداثة القرن التاسع عشر والعشرين مجرد تجديد مؤسلب reconduction stylisée ومصوِّر للموضوعات المهيمنة وإعادة كتابة retapage للصيغ المفيدة ثقافيا والتطرق من جديد بأكثر أو أقل روحية لما قيل سلفا ودعاية للنظام الاجتماعي السائد، متقنِّعة غالبا وراء المظاهر الخادعة للإبداع والأصالة.

المنارة للاستشارات

سأدرج هنا مفهوم *مجنون الملك* *fou de roi* لوصف موقف الالتباس الوظيفي لعمل الأدب الحديث بوصفه انحرافا وهدما وتخريبا مباحا، مصاريف لغوية استهلاكية، وضع في مفارقة محميّا من السلطات. لكي يتنصل نص منتمي لهذا الحقل الأدبي من هذه الموقف الملتبس لوظيفية نصف خارجية semi-extériorité fonctionnelle يتوجب عليه أن يعترض على هذه الدرجة من نصف الشرعية حيث يستفيد الأدب (حتى في طلائعه) من الرومانسية إلى أيامنا، يستفيد من تسامح نبيل وشهامة مشروطة، تجعل منه، رغم المظاهر، العميل الفعال للشموليات الأحادية، للعرف (الدوكسا) وللخطابات القانونية والرسمية .

إن النص الأدبي هو دائما لدرجة ما جزء فاعل في النظام الشمولي. على الرغم من ظهور بعض الحجاب logothètes على الكلمة الفريدة inouie، فإن البروز المكتمل في رأس أحدهم للغة جديدة أمر أكثر من بعيد الاحتمال. لا توجد، إذا نظرنا عن قرب، قطيعة جمالية ولا قطيعة ابستيمولوجية، مموقعة جيدا، صريحة وغير قابلة للنقض، إنها طبيعة الأشياء، وأنتروبيا entropie الثقافات. كل عمل للقطيعة ينتج أولا انزلاقات للمعنى مدركة بشكل سيء، تآكلات للنماذج paradigmes، آثار غير محددة جيدا، لعثمات معرفية أو جمالية. إما أن يكون التجديد الثقافي ساطعا وقريبا جدا ومتعرفا عليه فذلك لأنه ليس سوى تجديد وهمي، لأنه يدهش وهو في نفس الوقت واضح، ومعنى مرصود بحذق ضمن سوق الأفكار والثقافة. وإما أن يكون التجديد متعثرا وجزئيا، متعثرا: يقصد به أنه يتلمس من أجل أن يشق لنفسه دربا ضمن الشبكة السوسيوخطابية، من أجل منح نبرة لغة أخرى، غير ابتداعي. لا تصاغ التبعية إلا بثمن تعمية جمة لامكانات المنطق الجديد والاستناد على أشياء مشكلة سلفا، على معايير مقبولة، على ما هو موجود سلفا. يتضمن العمل الجمالي في جزء منه حجب الصراع الداخلي الذي يثيره التعايش المبتذل، المتواضع عليه، والمخفي. إن تغيرات اللغة والنبرة لا تتم بانتظام، إنها تنتج في الأغلب الأعم عن أزمة وعن تشويش جانب من النظام الخطابي يرغم النوع الأدبي، مثلا، على التخلي عن "مكاسب" بدون أن يمنح منذ البدء أي منفذ، أي صيغة جديدة جاهزة كلية. أثناء هذه الأزمة حيث يلجأ الكثير أولا إلى عمليات إعادة تأهيل للصيغ المهملة، ولاستعارات من القطاعات المجاورة، لإعادة الكتابة، فإن لغة جديدة قد تشق طريقا وتظهر للسطح. إن مثل هذه الفرضيات استكشافية heuristiques فيما يتعلق بتعارضها مع أساطير التجديد الإبداعي والقطيعة الساطعة التي تثقل التاريخ الأدبي كما تثقل تاريخ الفلسفة.

هنا أيضا ننتسب طوعا لتحليلات كلود دوشي، خاصة تلك التي قام بها على "la peaux du chagrain" لأنها تظهر للعيان كيف أن هذا النص الأدبي ليس لصفة جوهرية ما، هو مستقل ومحمي بكل سيادة في نفس الوقت في مواجهة ضغوط الشمولية الخطابية الماكرة التي يشتغل إزاءها، ولكنه يوجد ضمنها كلية كذلك.

المنارة للاستشارات

"الملفوظ الاجتماعي ينقد ويقضم الملفوظ الروائي "يكتب دوشي. إن نقدا أدبيا (لا يتحدث فقط عن الأعمال الرديئة أو النجاحات الظرفية بل عن أكثر من ذلك) يجب أن يظهر كيف أن النصية الأدبية هي أولا وحتميا" في خدمة الخطاب الاجتماعي"، في خدمة أساطيره وما هو معد سلفا préconstruits ولغاته وأكسيولوجياته، وبأنه من أجل مهمة عمياء، يقوم النص بحلها وجعلها مفارقة، تتبقى عدة مقاطع حيث النص الأكثر جدية يقود مرة أخرى إلى الدوكسا، يعيد نسج حبكات المسلمات الثمينة ويلعب على هذه المفارقاتية التي لا تفعل سوى البقاء ضمن حركة الأماكن المشتركة. جزء كبير من قطع الشجاعة للأعمال الأدبية الحداثية، يمكن أن ينطبق عليها البيت الشعري لكوربيير Corbiére في Les Amours Jaunes (الغراميات الصفراء): "كان يرى أكثر مما ينبغي والرؤية ليست سوى عمى".

هذا لأن النصوص الأدبية، بالمعنى المتداول، المؤسس لهذه الكلمة، لها القدرة على أن تكون أخرى، في موضع آخر، مشتطة بالنسبة إلى أقوالهم بأنهم يمسون البعد الجمالي، ولأن للنصوص الأدبية أيضا وظيفة إعادة القول، التمثيل، إعادة ربط الحاضر سلفا، لهذا فهي تنتسب إلى إعادة الإنتاج الاجتماعي .

النص الأدبي، كجوهر، لا وجود له إذن، إن ما يمكن أن يرصد مناسباتيا في حالة ثقافية هي بعض الكتابات المصنفة أدبية أولا ـ التي تهز أنتروبيا l'entropie الأفكار المستقبلة أو التي تمدها بمرآة محرِّفة. إن بعض النصوص التي تبحث أيضا عن إعطاء لغة لهذه "الأشياء التي لا تلفظ بها الخطابات الرسمية، باتباع المبدأ الاجتماعي بعمق والذي مفاده أن ما لا يقال لا وجود له، هذه النصوص تهم حتما ليس فقط ناقد الآداب ولكنها تهم كذلك عالم الاجتماع والمؤرخ. إذا كان يجب على الظاهرة الخطابية بالفعل أن تحلل في الوقت ذاته كإطناب وإكراه لإعادة القول الحاضر سلفا، كحكم مسبق، كنكران وكحركة، انزلاقات خفية، الوضع في مفارقة، بروز منطقيات " أخرى" (لننقل ارنست بلوش Ernest Blosh) ليس بعد قلت noch-nicht- gesagtes، لما لم يقل بعد، فإن المهم بالنسبة لهيرمينوطيقا ثقافية هو أن لا تخلط هذه التجديدات وهذه القطائع الأصلية مع ما تمنحه في كل لحظة بوفرة كبيرة السوق المبتذلة للجدة الثقافية (والأدبية) بأوهامها وإعادات كتابتها وثوراتها الاستهلاكية وآثارها للموضة وتقليداتها الممتثلة أو غير الممتثلة وأجهزتها للامتعاض و"انتزعوا مني هذا" decrochez- moi- ça للهوية الاثنية، الاجتماعية والجنسية التي تباع جيدا هذه الأيام.

عن طريق تطوير تفكيره النظري، أسهم السوسيونقد في رفض نوع من النموذج paradigme الاجتماعي التبسيطي يندرج حسبه داخل الاجتماعي كل ما هو إعادة إنتاج، فرض رمزي، ما هو مقروء، مؤسسة للتدهور الحتمي entropique ويعتبر أدبيا كل ما هو خارج الاجتماعي (وإذن خارج كل مأخذ تحليلي موضوعي)،

المنارة للاستشارات

من جدة novum، للمخيال ولليوتوبي وللإبداع. ذلك أن الاجتماعي (وإذن موضوع التفكير السوسيومنطقي والتاريخوغرافي historio-graphique) هو أيضا "المؤسس"، الـ"جدة "الـ"مصوِّر (بالتعارض مع المصور)، الحلم، المخيال، المجدد، المقدس : إنه ما يبرز بقدر ما هو ما يقاوم، إنه ما ينتزع بقدر ما هو ما ينخرط ويصر على البقاء عن طريق فرض نفسه، إنه ما يطرأ بقدر ما هو ما يدوم، ما هو تفسير l'interprétence بقدر ما هو الدوغم dogme وهو القول المحرر المقابل للقول المتسلط .

الهوامش:

*- Marc Angenot : " **Que peut la littérature ?** ; sociocritique littéraire et critique du discours social " , in " La politique du texte ; enjeux sociocritique " ,textes résumés et présentées par Jacques Neefs et Marie-Claire Ropars , Presses Universitaire de Lille , France , 1992 , P 9 - 27

1-إنني أستعيد وأطور هنا بعض المقترحات التي صيغت سابقا في مقال نظري بالتعاون مع رجين روبان Régine Robin، "انسجال الخطاب الاجتماعي في النص الأدبي" ضمن ***نظريات وآفاق***، عدد يشرف عليه إدموند كروس

Edmond Cros ،Sociocriticism (Pittsburgh PA et Montpellier, CERS), Vol. I, 1, juillet 1985, pp. 53-82.

سنرى أيضا تطويرات نظرية كثيرة في كتابي الجديد

1989 : un état du discours social, « l'univers des discours », Longueuil(Montréal), Le Préambule, 1989.

*(مسرحية شعرية 1900/ المترجم)

2 - le Réalisme socialiste, une esthétique impossible, Payot, 1986.

3 -أستعيد هنا اعتبارات سبق تطويرها في دراسة صغيرة لرجين روبان

Régine Robin et M. A. , La Sociologie de la littérature, un historique , Montréal , CIADEST , 1991.

4 -إنه لا يفرض نفسه ولا أقصد فرضه على أحد، ولكنه برنامج ناتج، حسبما أرى، عن عشرين سنة وأكثر من تطور التفكير السوسيونقدي .

5 -إن تحليل الخطاب الاجتماعي ينازع بطريقة ما التصور اللغوي للـ"اللغة" بوصفها نظاما يجب أن تكون فيه الوظائف الاجتماعية محيّدة ومغيّبة (دون وعي) scotomisées . يعمل تحليل الخطاب الاجتماعي مباشرة على تقسيم العمل الرمزي ولا توجد، حسب منهجيته/ طريقته، "ذوات متكلمة" مجردة اجتماعيا كانت تتحدث "الفرنسية"، على سبيل المثال، بتنويعات يمكن إهمالها معرفيا. هناك (فقط) أشخاص ـ في تداوليات محددة ـ يتكلمون عن طريق أوامر أسقفية مكتوبة mandement épiscopal، عن طريق الوعظ، عن طريق تغطية الحوادث fait-divers في جريدة يومية صغيرة" tabloïd "، عن طريق الدعاية النقابية، عن طريق نزاعات المقاهي، في مجلس طبيب عام، الخ .

6-إن معظم الباحثين في عصرنا يبدون على اتفاق حول واقع أن الخطابات الاجتماعية، و"الأشياء المقولة" ليست أبدا حيادية أو بريئة، وبـ" أن المركيزة خرجت على الساعة الخامسة "ليست" فرنسا

المنارة للاستشارات

للفرنسيين"؛ لا وجود إذن لملفوظ (لا وجد لرمز، أو لنغمة، لإشارة مسواة اجتماعيا، الج) لا يمكن أن نظهر اعتباطيته الثقافية ولا يمكن بحكم ذلك ipso facto أن نربطه برهانات ومصالح، وقيم لن تكون مجاوزة للمجتمع أو للجماعة التي تعترف بها. ومذ ذاك لا نتمكن من فضحها بوصفها موظفة من أجل فرض "سلطات".

7 -لقد أمكننا الشكوى من كثرة التفكير في الظواهر اللغوية منذ ثلاثين سنة. لكن يجب مع ذلك أن يكون كل الباحثين في الآداب والعلوم الإنسانية واعين لخصوصية ولمادية ظاهرة fait الخطاب ولطابعه الذي لا مناص من (التعامل معه) حرفيا لكل من يدعي التفكير في الاجتماعي والتاريخي. يجتاز الكثيرون بعد، نستطيع القول، تبادلات الكلام أو الصفحات المكتوبة التي يشتغلون عليها للعثور قبل كل شيء على "معلومات"، معطيات عن العالم الأمبريقي / التجريبي، عن العالم الذي يتحدث حوله وبدون الإدراك جيدا بأن النص المتفحص (أو التسجيلات) هي نسيج كلمات، وتعبيرات، وكيفيات قول، للغات خاصة jargons ولأساليب، لاستراتيجيات للإقناع أو للسرد لا تسير من تلقاء نفسها، وليست على الإطلاق عالمية ولا طبيعية، والتي هي خاصة بالمؤسسة، بالثقافة، بالهوية الاجتماعية أو السوسيوجنسية حيث المتكلم أو الكاتب هم في لحظة معينة ناطقون رسميون des portes proles. كثيرون إذن لا يدركون في "كيفيات القول" هذه نظاما خاصا للوقائع السوسيوتاريخية، لا يمكن أن نفصل عنه المعلومات والمعطيات المزعومة .

8 -انظر مقالي مع رجين روبان، «l'inscription du discours social », Sociocriticism, I, 2

9 -على سؤال "على ما يقدر الأدب ؟" الذي أحاول إيجاد إجابات فرضية عنه، يضاف السؤال الأكثر إزعاجا: لماذا يبدو النقد الأدبي، في العديد من اتجاهاته، منظما لكي لا يعرف ـ بأنه يحول النص "الخالص" إلى فيتيش، بأنه ينبهرs'hypnotise بـ"الشكل" (Bird'oison)، بأنه يطالب بآداب يضعها "في خدمة" أفكار صحيحة أو برامج مدنية .. في هذه الذرى لإفراط أو لتفريط، فإن ما يعرفه وما يقدر عليه الأدب هو (ومن ذلك لا يقوى على كل شيء) هو دائما ما ينكر ويمحى عن قلة أو زيادة تقدير . sur ou sous-estime

10-إذا كان الاستشهاد الأول من هاملت Hamlet، فإن مصدر الثاني هي أوبرا جورج George وايدا جرشوين Ida Gershwin Porgy and Bess.

11-لنذكر هنا تعريفا للويس ألتوسير Louis Althusser في 1986 حملت وعلق عليها كثيرا في تلك الحقبة.

المنارة للاستشارات